الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

ص.ب : ٤١٢٣ بيروت ـ تلفون : ٢٣٢٨٣٢

AL-ADAB : Revue mensuelle culturelle
Beyrouth - Liban
B. P. : 4123 - Tél. : 232832

صاحبتها ومديرتها المسؤول
الدكتور سهيل إدريس

Propriétaire - Directeur
SOUHEIL IDRISS

سكرتيرة التحرير
عايدة مطرجي إدريس

Secrétaire de rédaction
AIDA M. IDRISS

*

الادارة

شارع سوريا ـ راس الخندق الغميق ـ بناية مروة

الاشتراكات

في لبنان : ١٢ ليرة ■ في سوريا ١٥ ليرة
في الخارج : جنيهان استرلينيان او ستة دولارات
في أميركا : ١٠ دولارات ■ في الارجنتين ١٥٠ ريالا
الاشتراكات الرسمية : ٢٥ ليرة لبنانية او ما يعادلها

تدفع قيمة الاشتراك مقدما
حوالة مصرفية او بريدية

الاعلانات
يتفق بشأنها مع الادارة

استفتاء «الآداب»

فلسطين والأدب

يستطيع الناقد الادبي والمؤرخ الاجتماعي ان يلاحظ ان اثر النكبة الفلسطينية في الادب العربي الحديث كان دون المستوى الذي تفرضه الاحداث الضخمة في تاريخ حضارات الامم ، ولا سيما في الميدان الثقافي . فالام تعزون هذه الظاهرة ، وكيف تتصورون مستقبل « ادب النكبة » في نتاجنا الحديث ؟

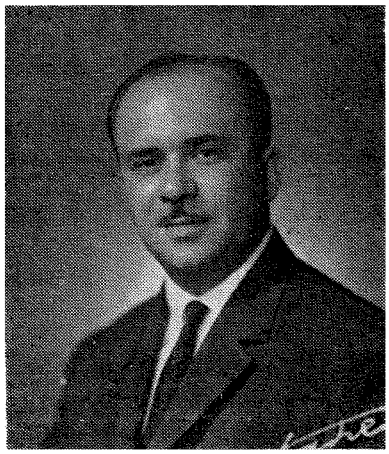

● جواب الدكتور سهيل ادريس ●

ليس في نتاجنا العربي المعاصر اثر مكتمل ناضج يعبر التعبير الفني المطلوب عن نكبة فلسطين بمختلف ابعادها ، او حتى عن بعض جوانبها . وتتبدى هذه الحقيقة بصورة جلية اذا حاول الناقد الادبي ان يقارن هذا النتاج بالاثار التي خلفتها الثورات والزلازل الاجتماعية في بعض الامم الاخرى في عصرنا الحديث ، مثل حرب المقاومة الفرنسية والحرب في الاتحاد السوفياتي والثورة في الجزائر ...

على ان تفسير هذه الظاهرة او حتى تبريرها ، ليس بالامر العسير . فالنكبة في ذاتها لم تنته بعد ، وما زال الشعب العربي يعيشها في جسمه وروحه ، وان ما تخلفه من احداث ، على الصعد السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، لا يزال من الحيوية والحداثة والمباشرة بحيث يمتنع على النضج الفني ، والاستبطان العميق . ثم ان استمرار الكارثة والامل المتزايد في محو عارها يجعلان المنتجين الاصلاء في حالة ترقب وعدم استقرار لا يتيحان لهم الاستعداد النفسي والفني للانتاج ، فينبغي لهذه الكارثة ، لكي تكون موضوعا كبيرا ناجزا ، ان تنتهي اما بتثبيت النكبة ، وما يستتبعه ذلك من تشريد وتمزيق ، واما بمحوها نهائيا . اما قبل ذلك ، فقصاراها انها تلامس السطوح دون الاعماق .

والحق ان الكارثة الفلسطينية ، من جهة اخرى ، قد خلقت في نتاجنا الادبي الحديث ، فترة انتقال لها سماتها الخاصة ، واهمها تعبير عن القلق والضياع والتمزق في اثار الاجيال الجديدة ، منذ خمسة عشر عاما . ولئن لم تتخذ هذه السمات بعد شكلها الفني الرفيع ، فلان الجيل الذي برزت على يديه جيل فتي ، حديث السن ، لما ينضج سنا ولا تجربة . وهذا الجيل نفسه ، لا جيل ما قبل ٤٨ ، هو الذي سيواصل عمله ليخلق ادبا للنكبة يكون لا ريب في مستوى النكبة ، على اي شكل افضت اليه .

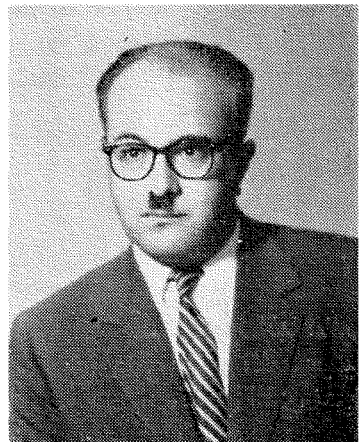

جواب
منير
البعلبكي

جواب
مطاع
صفدي

يخيل الي ان نكبة العرب في فلسطين كان لها في ادبنا المعاصر اثر اكبر جدا مما نتصور ، او مما نحب ان نتصور ، في بعض الاحيان . ففي حقل الدراسات حفزت النكبة الى وضع عدد من الكتب القيمة .

« معنى النكبة » لقسطنطين زريق ، « والنكبة والبناء » (في جزءين كبيرين) لوليد قمحاوي ، « والنكبة » (في خمسة أجزاء كبيرة) لعارف العارف ، و « هكذا ضاعت ... وهكذا تعود » لنقولا الدر ، و « تذكرة عودة » لناصر الدين النشاشيبي ... و « فلسطين » لشفيق رشيدات. وفي حقل الادب الخالص أوحت النكبة الى شعرائنا وقصاصينا باشياء كثيرة ، يحضرني الان منها « ارض الشهداء » (شعر) لابراهيم العريض ، و « جراح تغني » (شعر) لكمال ناصر ، و « وحدي مع الايام » (شعر) لعدوى طوقان ، و « لاجئة » (قصة) لجورج حنا ، و « الباب » (مسرحية) و « رجال في الشمس (قصة) و « موت سرير رقم ١٤ » لغسان كنفاني .

هذا من ناحية .

ومن ناحية ثانية ، كانت للنكبة الفلسطينية في ادبنا الحديث اثار خفية او مستترة نغفل عنها في كثير من الاحيان . فكما استطاعت هذه النكبة ان تغير وجه حياتنا السياسية كلها تغييرا جذريا تجلى في حركات التحرر الوطني ، وفي الانقلابات العسكرية ، وفي الثورة الاجتماعية ، والاندفاع نحو الغايات الاشتراكية ، والاخذ بمبدأ الحياد الايجابي ... كذلك استطاعت ان تغير وجه حياتنا الادبية تغييرا جذريا يتجلى ، في ما أزعم ، في هذا « العرق » التقدمي الذي يتناسج مع بنية الشعر العربي المعاصر والقصة العربية المعاصرة تناسجا يكاد يكون عضويا . ان هذا « العرق » وليد النكبة الفلسطينية من غير ريب .

ولكن هذا لا ينفي ، باية حال ، ان النكبة على جلال اثرها في الادب الحديث عجزت ، بقدر ما اعلم ، عن ان تطلع اثرا ادبيا واحدا (سواء في القصة او المسرحية أو الشعر) له من صدق التجربة ، وعمق المعاناة، وفنية الاسلوب ، ما يكفل له الخلود . ولعل مرد ذلك الى ان العرب لم « يفيقوا » بعد من هول النكبة اذا جاز التعبير . وليس من ريب عندي في انهم سيفعلون عما قريب ، وعندئذ يكون في ميسورنا ان نتوقع صدور هذا الاثر الادبي الخالد .

الادب العربي لم يلحق باثار النكبة ، لانه لم يلحق باية ثورية عربية اخرى . وذلك لان الجدوى كلها ما زالت للفعل وحده ، ولكل ما يدفع للفعل . والكلمة الادبية لم تصدق نفسها بعد، لكي تتحول الى فعل. وليس أدل على ذلك ، من ان الادب عند كل منعطف قومي ، تخور قواه فجاة ، ويفضل ان يجهض نفسه ، فاذا به ادب للجنس ، ادب عن الاحتقان والتفريغ .

ان ادراك اثار النكبة ، هو دليل نحو البراءة والتعرية . اما عندما تتشنج الذاتية بكل عقدها لتفخر بها ، وتصبح مادة للقيم الثقافية ، فان العافية التي هي شرط لثورة البراءة ، لن تضع حدا لمرض النكبة ، قد طلبت لذاتها الصحة في كل شيء ما عدا الادب . ومع ذلك فلقد كان كل ما كتب باسم الادب ، منذ خمسة عشر عاما ، كتب ايضا باسم النكبة. حتى ولو لم تشهد مناظر من فلسطين الجريحة في كل ما كتب . بل لعل الامر اغرب من ذلك ، فانك تستطيع ان تطلب ادب النكبة في اشياء كثيرة لم تحمل اسم النكبة ، في اشياء لم ينتجها اصحابها للتفجع او التحريض . فالمسألة اعمق مما تترأى لنا . اذ ان النكبة قد حركت مستنقع الوجدان الانساني لهذه الامة . لقد بدأت الحياة الجديدة من الجذر . فكل هذه الترددات في السطح ، انما هي رموز كبيرة لحقيقة المخاض الوهمي الدامي الذي يمزق صميم الخضم . خضم ولد من مستنقع والفضل للنكبة وحدها .

لقد كانت هناك اصداء ادبية لكثير من الاحداث الفاصلة الكبيرة ، التي تلاحقت عبر التموج الرهيب الذي راحت تنميه الكارثة التاريخية في كل مجال من مجالات الحياة العربية . ان الانقلابات والثورات والنكسات .. تركت اثارها على صفحات كثيرة ، خطتها اقلام متفاوتة القيمة ، تراوحت بين جاذبية العنوان ، وبين اصالة الاحساس بالمضمون المسؤول .

ومع ذلك ، فاننا ما زلنا نرفض الاعتراف بان الفكر العربي المعاصر قد ارتفع الى مستوى المخاض العظيم الذي تعانيه الامة ، وكانت تباشيره من صراخ اللاجئين . فما زال شعورنا بمعنى النكبة اعنف من ان يقنع باي تعبير محدود . ومن جهة اخرى ، فان غرورنا ، لاننا نشهد عملية الخلق ، يمنعنا من ان نعترف بثمرة الخلق . ولكن .. كيف يمكن ان يكون لنا يوما فكرنا الكارثي ، المعادل لحياتنا الكارثية . ان لم نتواضع

صدر حديثا :

الدولة

تأليف هارولد لاسكي

ترجمة كامل الزهيري
احمد غنيم

الناشر ـ دار الطليعة ص. ب ١٨١٣

ونقبل بالبدء ، بلحظة التفجر الاولى ..

نحن نرفض ان يكون لنا كل ما قد كنبناه ، بانتظار الثقافة المعجزة، التي ستهبط يوما من رأس عبقري خارق ، ولكن لكي تكون لنا يوما هذه الثقافة المعجزة ، فلا بد من ان نقبل بالبدايات . والبدايات .. وابعد من البدايات ، كثيرة في ارضنا الحرون . وهي سجينة لاسوار حولها من الشوك والعوسج .

علينا اذن ان نقبل بما تقدم ، دون ان نطمر الماضي ، ونسد المستقبل فليس اصعب في مولد حضارة كارثية ، كحضارتنا ، من تكون الرشيم في رحمها .فالصورة اللامتناهية في الصغر ، هي التي ستصبح الصورة نفسها ، لا متناهية في الكبر .

ولقد اعتادت الاداب العظيمة ، في الفترات الحاسمة من تاريخ الحضارات ، ان تستحلب اصالتها من عصارة التجارب الانسانية في واقع الامم التي تنتمي اليها . ولعل مفتاح المشكلة بالنسبة لثقافة عربية تعادل زخم المعاناة العربية ، لن يكون الا حيث تتخطى التجربة الحضارية مرحلة الاصطدام بالعقبات المضادة . فهذا الاصطدام لن يكون واعيا بقدر ما يكون غريزيا . وحتى تتحدد معالم التجربة في وجدان الاديب والمفكر، فلا خوف ان تستبق الاحداث كلمات الاحداث . وهنالك لحظة ، يستقر فيها طريق المستقبل ، تؤذن بولادة الاداب الاصيلة ، والفلسفات المتكاملة .

نحن لا زلنا في مرحلة الفتح . وكما افتتح اجدادنا وطننا العربي ، فسكتت السنتهم الشاعرية ، ونطقت سيوفهم النبارة ، كذلك نحن خلال هموم الفتح المعاصر ، ما زلنا منشغلين بالحدث عن معنى الحدث ذاته .

اننا نفتتح وطننا ثانية ، اننا نطهره من عجماته ، ونسف حدوده ، ونوقظ قواه البشرية . وبقدر ما تنضج عملية الفتح هذه ، بقدر ما ستكون لنا روحنا الحضارية الجديدة ، ادبنا وافكارنا وعلومنا ، التي هي قيم ، تثبت ما شققناه في ارض العصر والعالم .

جواب

الدكتور احسان عباس

احساسي العام لا يناقض ما يوحي به السؤال . هناك تسليم ضمني بان النكبة اثرت في الادب العربي الحديث ، وهذا حق لا ريب فيه ، ومن تصدى لجمع الاشعار والمقالات والخطب والقصص القصيرة التي كانت نتاجا للنكبة طوال الاعوام الخمسة عشر الماضية وجد محصولا كثيرا وفيرا . ومن الانصاف ان اقول ان كثيرا منه كان يثيره الاخلاص ، واننا لا نعدم فيه النوع الجيد احيانا . بل لو شئنا ان نوسع مجال النظر لقلنا ان النكبة عملت في الميدان الادبي بطريق غير مباشر ، فنفت اشياء كثيرة كانت رائجة في الجو الادبي كالامعان في الذاتية وفي الانسياق وراء ادب المتعة ، وابرزت الحاجة الى ادب مرتبط بواقعنا الاجتماعي ، ومهدت لظهور قيم ادبية جديدة . وما دامت النكبة فعالة في كثير من التغيرات السياسية والاجتماعية التي ظل يشهدها العالم العربي منذ عام ١٩٤٨ حتى اليوم فكل وضع ادبي ، ايجابيا كان او سلبيا ، ذو صلة بها ، فهي مسؤولة عن النقلة في النظم والاساليب والقيم في حياتنا الحضارية الراهنة ، وهي ـ اذن ـ مسؤولة عما ينتج عن هذه النقلة من ازمات مؤقتة او عميقة في ميدان الادب والنقد ، وفي هذا نفسه تعليل لجانب مما يفترضه السؤال المطروح اعني : ان اثرها في الادب كان دون المستوى لانها هي نفسها ـ مجتمعة مع عوامل اخرى ـ هيأت الجو لتغيرات جذرية ، عجز الادب عن ان يواكبها بسرعة مماثلة ، حتى اصبحنا في نهاية المطاف نحس ان الادب كله في ازمة ، لا من حيث صلته بالنكبة

أعتذار

وردت ((الآداب)) مقالات وقصائد وقصص ومسرحيات لم يكن ممكنا درجها في هذا العدد الممتاز لوصولها متأخرة فتعتذر المجلة للادباء عن ذلك ، وتعد بنشر هذه المادة في الاعداد القادمة .

التحرير

وحدها ، بل في صلاته بأي مظهر اخر في حياتنا الحضارية . اما لماذا عجز الادب عن مواكبة التغير فأمر يحتاج نظرا في طبيعته هو نفسه وطبيعة منشئيه وحال التغيرات ومدى عمقها .

وكان اثر النكبة في الادب دون المستوى الذي تفرضه الاحداث الضخمة لانها كانت حدثا ضخما معلقا دائما بالقدرة العملية في حياة العرب جميعا . واقول في تفسير هذا : ان الادب تعبير فني ـ حقا ـ وقد يؤثر فينا تأثيرا بالغا ، ولكن اين يبلغ في أثره اذا وضعته على مدى خمسة عشر عاما ازاء واقع مفزع بابعاده وضخامته ، مثلا ، كل قطعة ادبية تصور بؤس اللاجيء وحاله المنكودة وتكتمل فيها العناصر الفنية تضيع وتتلاشى من النفس اذا انت رأيت اللاجيء في بؤسه الواقعي ، لان العيان هنا يطمس كل تعبير . ولذلك تميل النفس ازاء هذا الواقع الفادح الى ان تعد كل ما يصدر في هذه الناحية من باب ((الكلام)) الاجوف والشقشقة البيانية والسفسطة الزائفة . وان هذا كله لا يهيء أي امل لحل المشكلة لانها مشكلة معلقة بالقدرة العملية في حياة العرب جميعا . اي ان جسامة الواقع العملي قد تفقد المرء احساسه بجدوى اي تعبئة فنية ، وما كان هذا الاحساس ضروريا ولكنه طبيعي ، وهو في الوقت نفسه يجور على الادب بعامة وعلى الجيد منه بخاصة ، ويجعلنا نصم هذا الادب بالفراغ او بالقماءة والتخاذل والضآلة . هذا يذكرني بقصة الخطيب الذي ارتج عليه فقال وهو ينزل عن المنبر :

فان لا اكن فيكم خطيبا فانني بسيفي اذا جد الوغى لخطيب

فقالوا : لو قال هذا وهو على المنبر لكان بليغا بارع البلاغة . ان شعورنا بطغيان الدور العملي في النكبة هو الذي يجسم احساسنا بان ادب النكبة جاء دون المستوى . لقد جاء دون المستوى حقا ولكن لو اتيح الحل المرجو للجانب العملي من المشكلة لارتفع مستواه عن ذي قبل، في نفوسنا .

وكان اثر النكبة في الادب دون المستوى لان طبيعتها تغيرت بسبب طول الزمن : كانت اول حدوثها مروعة تأخذ بالنفوس والقلوب ، كانت فاجعة ، والفاجعة تحدث عند من يتلقاها ـ صاحيا بعض الصحو او كله ـ ردا تلقائيا انفعاليا ، وادباء العرب في كل عصر يحسنون هذا النوع من الانفعال المباشر الذي يشبه انسكاب الدموع ـ قسرا او عفوا ـ والادب الناجم عن هذا الانفعال يشبه عويل الحيوان الذي اطبقت المصيدة على بعض اعضائه . وقد كان العويل والندب من سمات الادب الذي انفجر توا بعد النكبة . ثم تراخى الزمن ، وتبدد الانفعال ولم يعد النظر الى النكبة من زاوية مذبحة في دير ياسين او عرض ابيح او طفل قتل او شيخ جن ، انما اصبحت النكبة ذات عمق عربي (لا فلسطيني فقط) عسكري اقتصادي انساني ، اصبحت مشكلة وجود ، اي غدت تتطلب من الاديب العربي جذوة خالدة من الشعور والفكر معا ، بحيث يراها مشكلته ، ويتحسسها قبل اية مشكلة اخرى . وهذا وضع يحتاج اصالة في الادراك وسعة في الافق وايمانا بوحدة المصير . هل يستطيع ان يرقى الى هذا الوضع اديب ينظر الى الاشياء بمنظار حزبي او اقليمي او طائفي او فردي او مصلحي ؟ فكيف بمن يرى في نكبة فلسطين عبئا عليه لانها وضعته امام مسؤوليات تحول بينه وبين كثير من رغباته !! من هنا تبدد الانفعال المباشر ولم يحل محله وعي متوقد ، بل حل محله سأم وبرم وهزة كتفين ويأس مفلول . فاذا بقي شيء بعد انحسار ذلك الانفعال فهو ذكريات في نفوس الشعراء والادباء من النازحين ، ذكريات لا يشاركهم في تذوق طعمها حتى الجيل الناشيء من ابنائهم .

وقد كان من الخير لنا في واقعنا العربي ان تظل النكبة مشكلة

معلقة بالامل ، اي ان لا ننظر الى عمقها في الزمن بمقدار لا نستشرف صلتها بالمستقبل ، وهذا يجعلها في نظرنا ـ مهما تكن جسامتها ـ نكبة مؤقتة . ترى الا تؤثر هذه النظرة الواقعية في مدى عمق الادب ؟ ذلك على اية حال اقل خطرا من تعليقها بالحاضر العابر بحيث تصبح مشكلة سعي وراء لقمة العيش وبرشامة الدواء او تمرسا جديدا بالسجن والضرب والتعذيب . فاذا قيل لنا ان جانبا كبيرا منها اصبح فعلا معلقا بهذا الحاضر فاي ادب واي مستوى ؟!

ترى كيف اتصور مستقبل « ادب النكبة » في نتاجنا الحديث ؟ احب ان اتصور معنى النكبة فيه قد زال بتحقيق الوحدة واسترجاع الوطن ، وقبل ذلك لا ارى وسيلة تفني سوى « تجنيد » الادب في جميع صوره لجعل المشكلة جزءا من غذائنا وجوعنا ، من افراحنا واحزاننا ، والادب طاقة جبارة ، تعتمد التفاني في سبيل التعبير المخلص ، وليس من العدل ان نخلطه « بالكلام » الاجوف والشقشقة والتمويه الخادع .

جواب كنفاني غسان

ان الفترة القصيرة التي مرت على نكبة فلسطين لا يمكن ان تكون باي شكل مقياسا كاملا يقاس عليه الجواب ، ورغم ذلك فانه من الممكن رسم صورة اجمالية عن طريق البدء بتسجيل ملاحظتين هامتين :

اولا : كانت النكسات السياسية والاجتماعية ، في معظم الاحيان ، تؤدي الى نكسات فنية ايضا ، ويبدو ان القاعدة العريضة هي ان ترافق النكستان معا في الفترات الحاسمة من تاريخيهما قبل ان تستبق الاعمال الفنية كل الظواهر الاخرى في التعبير عن بداية النهضة السياسية والاجتماعية مرة اخرى .

ان تاريخ الادب العربي يعطي مثالا واحدا فقط على صحة هذه النظرية وبوسعنا ان نرى ان ذروة النهضة السياسية تترافق مع ذروة النهضة الفنية بشكل عام ، ورغم ان الاوضاع السياسية والاجتماعية تسبق عادة في التدهور فانها ، من ناحية اخرى ، تتأخر بعض الشيء عن اللحاق ، ايضا ، بالنهضة الفنية في دورتها التالية .

وتاريخ الادب العبري ، ايضا ، يمكن ان يكون مثالا واضحا في هذا المجال ، فازدهار الادب العبري يرافق دائما ازدهار الحياة السياسية والاجتماعية لليهود بدءا من العهد البابلي ، مرورا بعهد اليهود الذهبي تحت الحكم العربي في اسبانيا او تحت حكم العثمانيين في فترات متسامحة في اواخر القرن الخامس عشر ، او تحت الحكم الالماني في القرن الثامن عشر ... الخ .

واعتمادا على هذه الظاهرة التاريخية يمكن ان يعزو الناقد الادبي والمؤرخ الاجتماعي سبب تخلف الادب العربي عن اللحاق بمستوى النكبة الى التخلف السياسي والاجتماعي الذي تعيشه الاحداث المتعلقة بالنكبة.

ثانيا : ان الذي يلفت النظر اكثر هو ان انخفاض مستوى اثر النكبة الفلسطينية في الادب العربي الحديث هو جانب واحد من الحقيقة ، فهناك تخلف عن اللحاق بمستوى النكبة على كافة الاصعدة المباشرة وغير المباشرة ، المتعلقة بها : اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وبشريا ، وليس تخلفا متعلقا بالادب العربي الحديث فقط .

مما لا شك فيه ان هذا كله يدخل في الصورة التي ترتسم امامنا عن « اثر النكبة » بشكل عام لانه ليس من الممكن باي حال من الاحوال الفصل بين تاثير النكبة على الادب وتاثيرها على كافة الاشكال الاخرى من ردود الفعل المنطقية المترتبة على هذا الحدث الضخم .

وهذه الاشارة ـ رغم انها تبدو خارج الموضوع ـ الا انها في غاية الاهمية ، ونسيانها يتيح المجال للوقوع في منزلقات تجريدية لها طابع التخمين .

ومع وضع هاتين الملاحظتين (وهما ترافق التدهور السياسي والاجتماعي مع التدهور الفني ـ وكون اثر النكبة هو في الواقع دون المستوى المطلوب ليس في الاعمال الادبية فقط ، بل في كافة المجالات السياسية والاجتماعية ايضا) مع وضع هاتين الملاحظتين في الاعتبار يضحي من الممكن الاجابة على السؤال المطروح .

***

هنالك في اعتقادي ثلاثة عوامل هامة لعبت دورا كبيرا في حجب اي عمل ادبي كبير يكون بالمستوى الموازي واللائق لحجم النكبة الفلسطينية في الحياة العربية .

اولا ـ تعقد وتعدد وتناقض العوامل ذات التأثير الفعلي في انشاء اي عمل ادبي معاصر .

فالاديب المعاصر لا يعيش في اطر محدودة ليستجيب فورا ومباشرة الى اي تأثير ينشأ في داخل تلك الاطر ، ذلك ان طبيعة الحياة المعاصرة اضحت اكثر تعقيدا من ان تسمح بمثل هذا الانفعال السريع والمباشر بحدث من الاحداث .

ان التيارات الادبية العالمية ، التطور السريع والمذهل للمذاهب الادبية ونشوء مذاهب جديدة ، تضخم حجم الشكل الذاتي والشخصي في اي عمل ادبي ، نبذ الالتزام بشيء كثير من « القرف » ، تزاحم الاحداث العالمية وخطورتها ، التوتر السياسي والاجتماعي المتزايد يوميا في المنطقة ، كل هذه الامور تعرقل الطريق امام استجابة سريعة ومباشرة وكلية لحدث واحد .

ربما كان هذا العامل يبشر ، في رأي الكثيرين ، بتمخض ناضج لعمل ادبي كبير يستوعب كل ابعاد الوعي اللازم للنكبة في كافة وجوهها، ولكن هذا الرأي لا يلغي « وجود » هذا العامل كسبب من الاسباب التي حالت دون نشوء عمل ادبي عربي كبير في السنوات الماضية منذ نكبة فلسطين .

وعلى اي حال ، فانه من الطبيعي ان يوضع هذا العامل في حساب (العوامل الايجابية) بمعنى ان يكون سببا وجيها يدفع الى توقع ولادة عمل ادبي كبير فيما بعد يكون في موازاة قيمة النكبة ومستوعبا لابعادها التاريخية والعالمية والمحلية .

ثانيا ـ الجو « المؤقت » الذي عاشته قضية فلسطين في اذهان الشعب العربي عامة ، بما فيه الادباء والفنانون العرب .

ان اسبابا معينة ـ ليس هنا مجال ذكرها ـ عيشت قضية فلسطين في جو مذهل من التوقعات : فمنذ عام ١٩٤٨ حتى الان ، تقريبا ، استطاعت عوامل كثيرة ان تفرض على الشعب العربي صيغة من التوقعات بالنسبة لحل مشكلة فلسطين بحيث اقامت جوا منع اي اديب من البدء عمليا بانشاء عمل ادبي كبير يتعلق بقضية فلسطين .

ان هذا العامل ، رغم انه يبدو قليل الاهمية ، الا انه كان ذا تأثير كبير على الاعمال الادبية التي تناولت اي جانب من جوانب القضية الفلسطينية .

وبنفس كمية التأثير التي فرضها جو التوقعة هذا على الاعمال السياسية المتعلقة بالقضية الفلسطينية فشلها بشكل يكاد يكون تاما استطاع ان يؤثر على الاعمال الادبية بشكل عام فيحول دونها ودون ولادة عمل كبير في مستوى النكبة الكبيرة .

ان الخمس عشرة سنة الماضية كانت سنوات اكتشاف القضية الفلسطينية ، بكل ما في هذه الكلمة من معنى : اكتشاف ابعادها ومعناها وطبيعتها ، وقد عاش الشعب العربي بشكل كامل تقريبا في عملية

ـ التتمة على الصفحة ١٢٢ ـ

جواب الدكتور محمد يوسف نجم

قد يكون في هذا القول شيء من المبالغة يحتاج الى ان يرد الى شيء من الاعتدال والعدل . لان الادب العربي الحديث بمجموعه ادب رخص العود ناعم الاظافر ، وخاصة في الفنون المستحدثة كالقصص والمسرحية . ولو عرضنا امام ناظرينا علاقة هذا الادب بالاحداث الجسام التي انتابت الامة العربية ، من الداخل او من الخارج ، ابتداء من ظلم عبد الحميد فثورة عرابي فالاحتلال البريطاني لمصر فالحرب العظمى الاولى فثورة ١٩١٩ في مصر ، فتعطيل الدستور ايام صدقي ، فثورات فلسطين المتتابعة فالحرب الثانية ، فالنكبة ، فالانقلابات والثورات العربية التي تلتها ـ لو عرضنا هذا الادب امام ناظرينا لوجدنا انه لم يسجل ايا من هذه المواقف ، التسجيل العميق الصادق الذي يرتفع الى مستوى الروائع . وقد كانت الاحداث التي تنتاب الاقطار العربية احداثا محلية ، تثير ادباء هذا القطر او ذاك ، اما نكبة فلسطين فقد هزت الوجدان العربي منذ سنة ١٩١٧ وخلقت ادبا سياسيا وجهاديا عنيفا شاملا ، شارك فيه ادباء العربية في مختلف اقطارهم . ومن هنا يتبين لنا ان هذه النكبة التي تفردت بطابعها الخاص ومعناها العربي العام ، استطاعت ان تهز النفس العربية وان تثيرها ، وان تحرك فيها ضميرا ظل حيا ، او متسما ببعض الحياة حتى اليوم .

ويتبين لنا صدق هذا القول حين ندرس الشعر الفلسطيني خاصة والشعر العربي عامة في العقود الاربعة الاخيرة من هذا القرن . فشعراء فلسطين قبل النكبة ـ ابراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود وعبد الكريم الكرمي مثلا ـ كانوا يرصدون مراحل النكبة ويسجلون اطوارها في حرقة وتفجع ، ليؤلبوا الرأي العام الفلسطيني والعربي ، وليجعلوا منها القضية الحية او الجرح الدائم النزف في نفس كل عربي . يأتي بعد ذلك كوكبة من الشعراء الذين انضجتهم النكبة ففلب الطابع القومي على شعرهم ومنهم فدوى طوقان ومحمود الحوت وكمال ناصر . على ان الشعراء الفلسطينيين الذين خلقتهم النكبة واكتووا بنارها ، وهي اشد ما تكون وهجا وتأججا ، كانوا اصدق في تعبيرهم عنها ، بكل ما خلفته من مآس انسانية ، وفجائع نفسية . واذكر منهم هارون هاشم رشيد ويوسف الخطيب وسلمى الخضرا . ويبرز لنا خطر هذه الحقيقة حين نتذكر ان الادب الفلسطيني ، لم يكن في يوم من الايام ادبا عربيا قويا متميزا كما كان الادب المصري والادب اللبناني .

هذا في النطاق الفلسطيني ، اما في النطاق العربي العام فقد شارك الشعراء العرب في المراحل التي اشرنا اليها اعظم مشاركة . ففي المرحلة الاولى ، مرحلة ما قبل النكبة ، نذكر قصائد بشارة الخوري والجواهري وعمر ابي ريشة وشعراء المهجر امثال الشاعر القروي والياس فرحات وجورج صيدح في الجنوب وابي ماضي ونسيب عريضة في الشمال . وفي طور النكبة وما بعدها قرأنا قصائد قومية مجلجلة ، مشبعة بروح الثورة والنقمة والثأر لنزار قباني وعمر ابي ريشة وسليمان العيسى ومحمود حسن اسماعيل وسواهم .

هذا في الشعر ، وقد كان وما يزال اقوى التيارات الادبية واكثرها هديرا وصخبا في ادبنا الحديث ، لانه امتداد ميراث عريق تأثل على مدى مئات السنين .

اما الفنون المستحدثة ، فقد كانت اضعف نبضا من الشعر للاسباب التي بينا سابقا ، ولم تحرك النكبة اقلام كتاب القصة الا في اعمال قليلة ، نذكر منها قصص غسان كنفاني وعبد الحميد السحار وعيسى الناعوري . وقد كانت مشاركة كتاب الاقصوصة اكثر جدية واتساعا وذلك لان الاقصوصة ، بحكم نوعها ، تستطيع ان تستجيب للحظة العابرة وان تسجل الموقف الجزئي السريع واذكر هنا اقاصيص سميرة عزام وغسان كنفاني من الفلسطينيين ، واقاصيص بديع حقي وعبد السلام العجيلي وفارس زرزور وعيسى الناعوري من العرب غير الفلسطينيين .

والمسرحية كذلك كانت فنا متخلفا في ادبنا ، لم يبرز فيه سوى كاتب متميز واحد هو توفيق الحكيم . على ان بعض الكتاب المسرحيين ، ومنهم باكثير والعبوشي ، استطاعوا ان يسجلوا بعض جوانب هذه النكبة في مسرحيات تتفاوت في قيمتها الفنية بين الاتقان والضعف . الا ان مشاركة المسرحية الاذاعية ـ والسينما ايضا ـ كانت اقوى من ذلك بكثير .

اما ادب البحث السياسي ، ادب البحوث والمقالات ، فقد كان صنو الشعر في المشاركة . ويكفي ان نذكر الكتب العديدة التي عالجت النكبة من وجوهها القومية والسياسية والدولية والعسكرية ابتداء بكتاب معنى النكبة للدكتور قسطنطين زريق وانتهاء بابحاث الاستاذ وليد الخالدي ومحاضراته القيمة التي تميزت بالدقة في التحليل والتعليل .

بقيت نقطة ذات شأن ، خطرها يضارع خطر هذا الادب الذي صور النكبة بطريقة مباشرة بل يزيد . وذلك ان النكبة هزت الضمير العربي ، وخلقت جيلا ثائرا من السياسيين والثوريين والمفكرين ، هو الجيل الذي اضطلع بالواجب الاعظم وهو تقويم الانحراف وتوجيه الحكومات نحو العمل القومي السليم ، ابتداء بالانقلاب السوري الاول ١٩٤٩ وانتهاء بمؤتمر القمة العربي اول هذا العام . وهذا الجيل الذي مزقته النكبة هو الذي وقف موقف الشك والقلق والتمرد من جميع القيم القديمة في السياسة والفكر والادب ، فاقام الجمهوريات ونادى بالاشتراكية والعدالة الاجتماعية وطرح قضية الالتزام وحطم قواعد الشعر التقليدي وارسى اسس الشعر الحر . وهو في كثير من هذه المظاهر شبيه بالجيل الفرنسي الذي عانى الحرب والاحتلال ، فنظم المقاومة ضد الالمان ، وجعل من الوجودية والعبث والتمرد فلسفة له . انه جيل سارتر وسيمون دي بوفوار وكامو ، ولكن على الصعيد العربي. وبحسبنا ان نذكر عشرات الكتب التي عالجت القومية والاشتراكية والوجودية والثورة ، وعشرات القصص التي صورت البطل المتمرد ، او المنهزم بالمعنى الوجودي الايجابي . ومنها قصص سهيل ادريس وهاني الراهب ومطاع صفدي . ومن هنا يصح لنا ان نقول ان نكبة فلسطين خلقت جوا عربيا جديدا واستهلت مرحلة فكرية كان اثرها في الادب العربي قويا ، ولكن بطريقة غير مباشرة .

قد يقول البعض ان هذا تاريخ موجز للكم فاين الكيف ؟ اجيب على ذلك ، بالعبارتين اللتين صدرت بهما جوابي وهو ان الادب العربي الحديث بمجموعه ادب رخص العود ناعم الاظافر .

جميع الكتب القومية
والفكرية والسياسية

اطلبوها من

مكتبة منيمنة

شارع المعرض بيروت ص. ب ٢٢٩٦

فلسطين والادب

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٤ ـ

الاكتشارف هذه وبشكل كان يشير الى ان اي عمل أدبي ـ في غمار عملية الاكتشاف هذه ـ لن يكون كبيرا .

ولذلك بالذات ـ كما اعتقد ـ تميزت السنوات الماضية ، منذ النكبة والى الان ـ بنوع انفعالي شديد المباشرة من الشعر والاقصوصة، نوع يتناسب تماما مع « جو التوقع » المترافق بعملية اكتشاف القضية الفلسطينية .

لقد كان الادباء العرب ـ الذين انفعلوا فعلا بالنكبة ـ يعيشون معركة مستمرة منذ عام ١٩٤٨ ، معركة يومية مليئة بالتوقعات والانتظارات المتواصلة لمفاجأة ما ، وقد فرضت هذه المرحلة نفسها فرضا على اعمالهم الادبية فانتجوا شعرا حماسيا لا يبدو قط انه شعر لانسان مهزوم ، بل لانسان ما زال في ساحة القتال بكل ما يعني ذلك من المباشرة والانفعال العاطفي المحض ، واعقب هذا النوع من الشعر شعر رثاء ، ينضح ببكاء فاجع لا يصدق ، ولكنه كان ايضا شعرا مباشرا كل مؤونته هو الانفعال العاطفي المحض لانسان ما زال يخوض في ساحة حرب قائمة ويكتشف شيئا فشيئا الابعاد المعقدة واللانهائية للقضية التي كان يعتقد انها قضيته البسيطة الواضحة .

ثالثا ـ انني اميل الى الاعتقاد انه في غياب العمل السياسي الايجابي المباشر لقضية من القضايا ، يظل العمل الادبي المتعلق بها عملا ناقصا وغير قادر على الخروج من انفعاليته المؤقتة ليستوعب الابعاد الحقيقية لتلك القضية ويعبر عنها ، بالتالي .

ان الاديب الذي تتضح له ابعاد قضية منفعل بها انفعالا حقيقيا ومخلصا لا يستطيع ان يتجاهل غياب العمل السياسي المباشر في سبيلها ويكتفي بانشاء عمل فني يتعلق بها ، ويجد نفسه امام اختياريين : اما ان يواصل مهمته كداعية من دعاة هذه القضية في حدود العمل الادبي الذي يخدم هذه المهمة ، واما ان ينغمر في العمل السياسي الذي يدله عليه اجتهاده الامر الذي يحول دونه ودون الانصراف الى انشاء عمل ادبي كبير لاسباب معروفة تماما .

ولست اعتقد ابدا انها مجرد مصادفة ان يكون معظم الادباء العرب الذين اعطوا قسما لائقا من اعمالهم الفنية لنكبة فلسطين منغمرين في اعمال سياسية ، وانهم يصرفون اوقاتا اكثر في العمل السياسي من تلك التي يصرفونها للعمل الادبي .

وهناك مثال بين ايدينا لا يقل قيمة عن المثال السابق ، وهو الحركة الادبية العربية في فلسطين المحتلة .

لقد شهدت هذه الحركة نموا مبكرا بعد النكبة مباشرة ، وكان نموها يتركز بشكل خاص في الزجل وفي الشعر .. ولا يستطيع اي انسان ان يتجاهل قيمة ذلك الشعر وذلك الزجل اذا ربطها في الظروف التي يعيشها عرب الارض المحتلة .

ولكن ما يلفت النظر حقا هو ان معظم الشعراء الذين قادوا رحلة النمو تلك قد انصرفوا الى العمل السياسي المباشر ، بعد سنوات قليلة من النكبة ، كل حسب اجتهاده .

ان ضخامة الحاجة لعمل سياسي يعبر تعبيرا يوميا وعمليا عن المأساة قضية تستوقف اندفاع اي اديب ينفعل بتلك المأساة انفعالا صادقا ، ولا شك ان هذا بالذات كان سببا هاما من الاسباب التي جعلت « اثر النكبة الفلسطينية في الادب العربي الحديث دون المستوى » المطلوب .

ان هذا الكلام لا يعني ابدا ان مهمة الاديب هي ان يعمل في الحقل السياسي ، وانما القصد هو القول بان انعدام الاثر اللائق للنكبة في العمل السياسي العربي يضع الاديب في موقف خاص ودقيق ، ربما كان من غير المنطقي القبول به لو كان العمل السياسي في سبيل القضية الفلسطينية عملا قائما ومزدهرا .

هذا كله يؤدي بنا الى نتيجة خطيرة ، ولكنها ـ ببساطة ـ نتيجة قائمة : وهي ان الاديب العربي المنفعل فعلا وصدقا بالقضية الفلسطينية يعتبر ان جزءا كبيرا من مهمته الادبية يجب ان يكون منصرفا لاغراض دعاوية ، في المرحلة الراهنة .

وهي نتيجة تشير الى سبب من الاسباب التي تحول دون انشاء عمل ادبي كبير يوازي في قيمته « قيمة » النكبة الفلسطينية في الحياة العربية .

***

ولكن هذا الكلام لا يعني مطلقا ان الادب العربي لم ينفعل بالمأساة الفلسطينية كليا ، رغم انه يعني بانه لم ينفعل بشكل كاف ، او متناسب مع حجم النكبة .

ان الاعمال الادبية التي شهدتها السنوات التي تلت النكبة ، حتى الان ، والتي يمكن ان تنسب الى ما يسمى بادب النكبة هي في الواقع اعمال غزيرة ومنوعة ولكنها ليست اعمالا كبيرة يصل مستواها الى المستوى التاريخي لتلك النكبة .

لقد استطاع الشعراء يوسف الخطيب ، وسليمان العيسى ، وهارون هاشم رشيد كما استطاعت سلمى الخضراء الجيوسي وفدوى طوقان ان يعبروا عن كمية هائلة من الالم والرثاء النابعين من تأثر صحيح بالنكبة ، تأثر صادق ومخلص وعميق ، ولكنه كان دائما انفعالا مباشرا لم يستطع ان يحمل ابعاد القضية بمجملها في صيغة تصل الى مستواها .

واذا كان الشعر في هذه الدرجة من الاستجابة ، فقد كانت الاقصوصة في درجة اقل بكثير ، اما الرواية فانها معدومة تقريبا .

ورغم ذلك فان التأثر بالنكبة لم يستطع ان يتجاوز كثيرا الادباء الفلسطينيين انفسهم الى سائر الادباء العرب ، ولذلك فاننا سنواجه بفقر مدقع اذا ما حاولنا ان نبحث عن اثر النكبة الفلسطينية في اعمال الادباء العرب من غير الفلسطينيين .

وفي نطاق الادباء الفلسطينيين ايضا لم يستطع التأثر بالنكبة ان يتحقق في ابعاده الحقيقية الكاملة ، ويبدو سواء في الشعر او الاقصوصة جزئيا وعاديا ، وهذا الكلام ليس اتهاما اذا وضع داخل الاطار الذي حدده البحث منذ البدء .

***

بالنسبة للشق الاخر من السؤال : « كيف تتصورون مستقبل « ادب النكبة » في نتاجنا الحديث ؟ » فانني ارى اننا ، في المرحلة الراهنة ، نمر في منعطف حاسم بهذا الصدد ، ويتبدى ذلك في كل اشكال النكبة ، سواء على الصعيد السياسي او الاجتماعي او الفني .

يبدو ان مرحلة استكشاف القضية الفلسطينية توشك على نهايتها ـ من جميع النواحي ـ وسوف يكون انتهاء تلك المرحلة بداية طبيعية لاعمال ناضجة ، على جميع المستويات ايضا .

هناك في صفوف الفلسطينيين انفسهم ما يمكن ان نسميه : امرا رهن التمخض ، وتبدو مظاهر هذا التمخض في كل نبضات المجتمع العربي بشكل نادر ، ولا شك بان المؤرخ الاجتماعي يستطيع ـ اعتمادا على احداث مماثلة في التاريخ ـ ان يؤكد بان العمل الادبي سوف يكون المبادر في بداية المرحلة القادمة .

ان خمسة عشر عاما في عمر المجتمع تظل فترة قصيرة لا يمكن الحكم عليها بذاتها ، ولكن هذه الفترة يمكن ان تعتمد كعلامة للحكم على المستقبل وهي ـ في هذا المجال ـ علامة جيدة .

تصوري الشخصي المحض ان ادب النكبة سيستطيع ان يكون في المرحلة القادمة رائدا للانبعاث الفلسطيني على كافة المستويات ، وهو يتجه نحو هذا الدور اتجاها واضحا .

ان القفز من مرحلة الحماس الى مرحلة الندب الى مرحلة « انحماس العقلي » ـ وهي الخطوط العريضة لتطور ادب النكبة في السنوات الماضية ـ يدل على ان المرحلة القادمة ستكون مرحلة « ارساء قواعد للعمل » ، عبر اعمال ادبية كبيرة وواعية وحقيقية ، وهذا ليس خلطا بين مهمة الباحث ومهمة الاديب ، ولكنه « خلط » بين مهمة الاديب وعالمه الملتصق به التصاقا عضويا والمتأثر باحداثه الى حد بكاها فيه وندبها بصورة تدل على ان علاقته بتلك الاحداث ليست علاقة جانبية او جزئية او عابرة او شكلية ، بل علاقة مصير .